

أصيل يتمسك بعقيدته ويعتصم بدينه. ولا بد لتحقيق هذه الحركة وتلك الإمكانيات من اللجوء إلى الطرق في الاجتهاد التي كان يلجأ إليه من سبقوا أئمة المذاهب لتصلح أمتنا الإسلامية الممزقة على ما صلح عليه أولها. وأعني به القرآن الكريم والسنة الصحيحة. وهذان المصدران للتشريع هما فخر المسلمين وعماد الإسلام لا المذاهب التي عاشت عصرها وأعطت ما عندها في إطار إمكانيات ذلك العصر.

لأن القرآن الكريم والسنة الصحيحة هما المعين الذي لا ينضب إلى الأبد، وهما المرجع العلمي الأول الذي يتكفل بإيجاد الأحكام الملائمة لأهل كل زمان، ولا سيما القرآن الذي هو معجزة المعجزات بما أودعه الله من علوم وآداب، ومما يحمل في طياته من مكنونات قرأها من قبلنا ونقرأها نحن في عصرنا فنحسبها أسراراً مطلّسة، لأن وقت حدوثها لم يحن، وسيستمر من يأتي بعدنا في تدبر هذا القرآن فيستخرجون منه من ألوان المعارف ما يسد حاجاتهم ويساير تطور أزمّنتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقوله تعالى "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً".

أنا لا أنكر أن المذاهب التي انبثقت عن دوحه الإسلام: سواء أكانت على الصعيد الفقهي، أو على الصعيد السياسي، قد اشتملت على مجموعة من المعلومات القيمة التي أفادت المسلمين، غير أنها أجت نار الخلاف بينهم وأفقت — في كثير من الأوقات — إلى تنازعاتهم واقتتالهم. وقد استغلت الصهيونية والاستعمار — بشقيه القديم والجديد — الخصب التشريعي في الإسلام، فاغتنموا تعدد المذاهب سبباً للإيقاع بين المسلمين. ذلك أنَّهُ يشق على المستعمرين والصهاينة أن تشدّ الألفة المسلمين جميعاً وهم يريدونهم أشتاتاً مبعثرة لا يجمع شملهم دين، ولا يلم شعثهم نظام، ولا تبديد أحقادهم دعوة.

وإنه لما يؤلمنا أكثر أن تظل السياسة التفرقية للاستعمار والصهيونية، نشطة وفاعلة على ساحاتنا العربية والإسلامية، بل وأن تتبنى هذه السياسة المزدولة طغمة من تجار المذهبية، زاعمين أنهم بتعصبهم المذهبي البغيض يدافعون عن الدين، والدين منهم ومن مخازيهم براء.

